

الترجمة في العلوم الاجتماعية

أليس بريتشي

ترجمة: د. محمد عرب صاصيلا

أليس بريتشي، متخصصة في علم بعلم الأنثروبولوجيا، لكن لديها شغف كبير بالعلوم الإنسانية بشكل عام. حاصلة على ماستر في الترجمة المهنية والتخصصية من الجامعة الكاثوليكية بأنجييه (Angers)، وعملت مترجمة مستقلة من الإنجليزية والإسبانية إلى الفرنسية منذ ٢٠٠٩. كما ترجمت بشكل رئيس نصوصاً في الميدان المؤسسي (في الهيئات الدولية، والأوروبية، والقومية، والإقليمية، وفي المنظمات غير الحكومية، ومجموعات المصالح...)، ووثائق تسويق ولغايات تجارية.

مقدمة

١ - أودّ، قبل كل شيء، تقديم توضيح ذي طابع مصطلحي بحت: وهو إنني سأستعمل، لأسباب تتعلق بالسهولة، تعبير «العلوم الإنسانية» و«العلوم الاجتماعية» بلا تمييز. إذ أن هناك، بالفعل، جدلاً قديماً يتعارض فيه اتجاهان، الأول يكمن في التمييز بين هذين المفهومين، والآخر يدمجها معاً كمرادفين أو شبه مرادفين.

٢ - إلا أن هناك، تقليدياً، مَنْ يرى أن العلوم الإنسانية تدرس الإنسان بصفته فرداً، أو موضوعاً (علم النفس، وبعض فروع الفلسفة...) في حين أن العلوم الاجتماعية تدرس الإنسان في علاقته بالجماعة، النظم والعلاقات الاجتماعية. وحينئذ تُصنّف ضمن هذا المفهوم الثاني حقول معرفية مثل علوم: التاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والإناسة (الأنثروبولوجيا)، والعلوم السياسية، وعلم الآثار، علاوة على علم الاجتماع...

د. محمد عرب صاصيلا، حاصل على درجة دكتوراه دولة في العلوم السياسية من جامعة غرونوبل / فرنسا (عام ١٩٧١).

٣ - ويبقى من الصعب إقامة هذا التمييز بدقة، لأنه يشكل موضوعاً للعديد من المجالات الأكاديمية. فيما أن فروع التأهيل الجامعي والبحث تتطور، فإن الحدود بين الاثنين تبدو قابلة أكثر فأكثر للاختراق؛ وهكذا يُعرّف قسم كبير من المختصين العلوم الإنسانية بأنها دراسة الإنسان وأفعاله، وحده وضمن جماعة، وأساليب تنظيمه، وعلاقاته... ولهذا يبدو إذاً أن المفهومين مندمجان.

٤ - أتمنى أن أرسم هنا لوحة مختصرة للوضع الراهن للترجمة في هذا الميدان الخاص، الذي يندرج والحالة هذه في دائرة النشر. ويبدو لي جوهرياً بشكل خاص التطرق إلى الأسئلة التالية: مَنْ هو المترجم الأكثر قدرة على ترجمة مؤلّف في العلوم الاجتماعية؟ كيف نشجع انتقال هذا النمط من المؤلّفات بين مختلف البلدان، ولا سيما في أوروبا؟ وما هي الصعوبات الرئيسية التي يصادفها مترجم يعمل في هذا الميدان البحثي؟ وتقديم بعض عناصر الإجابة عنها، ورسم آفاقها.

أولاً - أيّ مترجم لمؤلّفات العلوم الاجتماعية؟

٥ - يكمن أصل الإشكالية البارزة في عالم البحث في العلوم الإنسانية في الأسئلة التالية: كيف نربط بين عولمة المعرفة وتعددية اللغات؟ كيف نضمن انتقال الأفكار في أوروبا؟ هذه الأفكار ينبغي ربطها ثانيةً بطرق الكتابة والنقل، وبالخصوصيات الثقافية، والرهانات الاقتصادية والاجتماعية.

٦ - في عام ٢٠٠٩، وعلى إثر انعقاد المؤتمر الدولي حول نشر العلوم الإنسانية في أوروبا الموسّعة، أطلقت منشورات مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) بياناً موجّهاً إلى مختلف الحكومات الأوروبية. وقد أُعدّ هذا البيان، وعنوانه «من أجل نشر أوروبي حقاً للعلوم الإنسانية»، بمبادرة جامعيين وناشرين لمؤلّفات في العلوم الاجتماعية. وتكمن الرسالة التي حدّتها هذه المجموعة لنفسها في «بناء أوروبا المعارف والمعرفة»، التي تشجع الالتزام العلمي المشترك وتقاسم المعارف على الصعيد الأوروبي.

٧ - افتُتحت مقدمة البيان، كما قدّمت في ١٦ حزيران ٢٠٠٩ بدار علوم الإنسان بباريس، بمقتطفٍ من رسالة وجهها غوته (Goethe) في عام ١٨٢٧ إلى مترجم أعماله توماس كارليل (Carlyle Thomas) قال فيها: «يجب اعتبار كلّ مترجم وسيطاً يعمل جاهداً لأجل التشجيع على تبادل فكري عالمي، ويسعى إلى تقدّم هذه التجارة المُعمّمة.»

٨ - والواقع أن موقعي البيان انطلقوا من الملاحظة التالية: إن التوسّع المُنجَز والقادم للاتحاد الأوروبي لم يُعدّ بما فيه الكفاية التفكير حول انتقال النصوص والأفكار، وبقي مسألة سياسية وقانونية. ولقي نشر المؤلّفات في العلوم الاجتماعية عقبات عدّة، وتوزّع بطريقة غير متكافئة بشكل خاص بين منطقة وأخرى.

٩ - وبرأي موقّعي البيان، فإن الفكرة الأولى التي ينبغي نقلها إلى المؤسسات هي التالية: إن الترجمة، كضمانة للتعددية الفكرية، وشعاع موجه لبث المعرفة، هي بالأحرى جوهرية في منظورٍ على الصعيد الأوروبي، متميّز بالتعددية اللغوية، أو بنزعة «لغوية مشتر» (co-linguisme). وهذا المفهوم الأخير هو من جهة أخرى ما ينبغي تفضيله في إطار بث المعرفة. ذلك أن التعددية اللغوية تستتبع بالفعل وجود أفراد يتكلمون لغات عدّة، في حين أن اللغة المشتركة تستتبع وجود لغات عدّة في وضعية تساكُن. وعلى كل لغة أن تستفيد من درجة تقويم واحدة، من جهة أولى، وأن تُترجم لكي تعمل على انتقال النصوص والأفكار، من جهة أخرى.

١٠ - الفكرة الثانية هي أن الترجمة تسمح أيضاً بإعادة هذه المعرفة إلى المجتمعات التي يجري العمل عليها، التي تكون غالباً محرومة من المعارف ومن الدراسات التي أجراها عليها مراقبون من الخارج. ومن جهة أخرى يُلاحظ وجود ظلم كبير في عالم النشر، ومن ثمّ في الترجمة، لأن هذه الأخيرة تجري، على الصعيد العالمي، بشكل واضح في اتجاه شمال - جنوب، وغرب - شرق أكثر مما هي في الاتجاه المعاكس. فالعديد من البلدان الأفريقية مستبعدة عملياً من المبادلات الدولية، أما على الصعيد الأوروبي، فإن بلدان وسط أوروبا وشرقها هي الأكثر حرماناً.

١١ - إن الترجمة، في ميدان العلوم الاجتماعية، هي إذاً عمل إدراكي، وليست عملاً تواصلياً فقط. وعليها أن تغني العمل الأصلي، وتوسّع ميدان استقباله. إنها أيضاً عمل كتابة، كما هو الحال في الأعمال الخيالية، الأمر الذي يبرّر وضع المترجم كمؤلفٍ خاص للنص المنشور.

١٢ - إن نوعية الترجمة جوهرية بالتأكيد، لأن النص ينتقل من دون سياقه، وهذا الأمر يمكن أن يكون مصدراً لعدد لا يحصى من سوء الفهم. لا سيما وأن تفسير النص، حتى عندما يُترجمه مترجمٌ - مؤلفٌ موهوب، يتعلق كثيراً بالسياق المستقبل له، وبالرهانات والتصورات الخاصة بكل أمة.

١٣ - من هنا يبرز السؤال التالي: أيّ مترجمٍ لأي نص؟ مَنْ هو القادر على ترجمة مضمون نصٍ يندرج في ميدان بحوث العلوم الإنسانية؟

١٤ - ترتفع، في الوقت الراهن، أصوات كثيرة للمطالبة بدمج الترجمة في عملية تكوين الباحثين. إذ يرى عدد كبير من الجامعيين، بالفعل، أن إسناد هذا العمل إلى مترجمين محترفين غير متخصصين أمرٌ غير مُستحب. وقُدّمت لذلك ذريعة تقول إن العديد من الترجمات التي أنجزها لغويون غير متخصصين في الميدان كانت مخيبة للغاية، فالمترجمون يمرون حينئذ عادة إلى جانب المفاهيم والأفكار الأساسية، ولا يدركون حقاً مداخل ومخارج الموضوع الذي يعرضه المؤلف.

١٥ - يضاف إلى هذا، أن الباحثين في العلوم الاجتماعية، بقدر ما هم يشكّلون القسم الأعظم من الطلب على نشر هذا النمط من المؤلفات، يُعدّون، في أغلب الأحيان، القائمين بعملية الترجمة: إنهم يجلبون بأنفسهم المشاريع للترجمة، ويملكون إذاً ثقافة مزدوجة تتضمن معرفة كافية باللغة الأصل، وينجزون بأنفسهم ترجمة المؤلفات موضوع السؤال.

١٦ - إلا أن هناك جامعيين آخرين يدافعون عن الاستراتيجية التي تكمن في تشكيل مخرج ذي حدّين بين المترجم والمؤلف، بين المترجم والباحث المختص في الميدان أو بين المترجم والمؤلف. ويسمح هذا التعاون باستثمار الكفاءات اللغوية للمترجم المحترف والكفاءات النظرية للمختص. ويؤمّن هذا العمل للمترجم جواباً عن شكوكه عندما يتعلق الأمر بتوضيح فكرة المؤلف بدقة، ويسمح له بإزالة الغموض المحتمل.

١٧ - لقد أسندت الترجمة في العلوم الاجتماعية حالياً، وغالباً، إلى شبان من الباحثين أو طلاب الدكتوراه، وذلك لأسباب اقتصادية، أو لأسباب أخرى تتعلق بالسهولة، في آن معاً، لكن هذا الاختيار يتم في أغلب الأحيان، ويا للأسف، على حساب النوعية.

ثانياً - كيف العمل على انتقال النصوص؟ من أجل سياسة أوروبية لدعم الترجمة.

١٨ - يواجه انتقال النصوص في أوروبا عقبات عدّة.

١٩ - يلاحظ في المقام الأول وجود مشكلات ذات طابع مالي. فمن المناسب، في البداية، أن نحتفظ في ذهننا أن الترجمة تكلف الناشر، في أغلب الأوقات، أعلى من المؤلف الأصلي. كما أن دور النشر الصغيرة المتخصصة في العلوم الاجتماعية ينقصها المال بشكل قاس، وتجني أرباحاً قليلة إلى حد ما، في حين أن دور النشر التي تهتم أكثر «بالموضوعات العامة»، والتي تنصرف بميزانية كافية، لا تعدّ فروع العلوم الاجتماعية هذه كأولوية لها، وتتخلّى عنها غالباً بسبب مردوديتها الأضعف من هذا النمط من المؤلفات.

٢٠ - إن دور النشر الصغيرة في حاجة إلى إعانات من أجل الاستمرار بالبقاء. وهي، في فرنسا، تتلقى عموماً إعانات من المركز الوطني للكتاب (CNL)، وأحياناً من المناطق. لكنها مع ذلك تعاني كثيراً من صعوبات العيش من نشاطها.

٢١ - والوضع أسوأ في العديد من البلدان، فبلدان وسط أوروبا وشرقها، بشكل خاص، تُعدّ محرومة بسبب واقع الغياب القاسي للتمويل. وفي ما يتعلق بالترجمة فيها من الفرنسية إلى لغة أخرى تفتقد دور نشرها إلى الميزانية اللازمة لترجمة نصوص المؤلفين الفرنسيين. وبالالتجاه المعاكس، فإن الناشرين الفرنسيين، الذين لا يملكون هم أنفسهم أيضاً الدعم المالي الكافي بشكل دائم، لا يعرفون إلا نادراً المنتجات العلمية لهذه البلدان الأقل حظاً، ولا سيما تلك التي تتكلم لغةً يقال عنها إنها لغة «أقلية» في أوروبا. فهؤلاء الناشر لا يصلون بسهولة إلى المعلومات، الأمر الذي لا يسمح لهم بالقيام باختيارات

ملائمة من أجل انتقاء مؤلفات للترجمة.

٢٢ – لهذا الواقع تعاني هذه البلدان إذاً من ترجمات رديئة النوعية أكثر من البلدان الأخرى. وفي جمهورية التشيك، تمنح رابطة المترجمين في كل سنة جائزة سكريبوتشيك «كتعويض» عن أسوأ ترجمة. ومن المحزن ملاحظة أن أكبر دور للنشر لم تستثن من هذا الأمر...

٢٣ – فضلاً عن ذلك فإن عمليات التمويل التي تُمنح في مختلف البلدان الأوروبية ترتبط بشكل وثيق بالسياق السياسي الاجتماعي وبمضمون المؤلف نفسه. فعلى سبيل المثال يمكن لكتاب ينتقد الشيوعية أن يُنظر له بشكل سيئ في بعض البلدان، ولكن يُحکم عليه بأنه يقدم موضوعاً يفتقد للأصالة في بلدان أخرى...

٢٤ – تصطدم الترجمة في العلوم الاجتماعية أيضاً بمشكلات ذات طابع سياسي وقانوني. وبشكل عام فإن المؤلفات في الفروع العلمية التي يصفها الجامعيون بأنها «ذات منفعة»، مثل الاقتصاد أو العلوم السياسية، تحظى باهتمام مختلف الحكومات على حساب ميادين أقل تقديراً، كالأنثروبولوجيا أو علم الآثار، على سبيل المثال.

٢٥ – إننا نشهد، في الواقع، شيئاً من التطبيع للبحث في العلوم الاجتماعية، وهو تطبيع تشجع عليه المؤسسات الأوروبية التي لا تعطي الأولوية للبحوث «المُنزَّهة عن الغرض»، التي تعالج موضوعات ليس لها علاقة أو اتصال ممكن مع مجتمعنا الراهن. وبالمقابل، ستجدون وفرة في المؤلفات حول الإسلام، والهجرة، إلخ. ولا يسعنا إلا ملاحظة كم أن المؤلفين والباحثين والناشرين أيضاً، يجدون أحياناً صعوبة في التحرر من هذا الاتجاه لإضفاء طابع ذرائعي على أعمال الترجمة.

٢٦ – تعاني الفروع العلمية الأقل «فائدة» بالأحرى من نقص في الميزانية، وهو الأمر الذي ذكرناه سابقاً. وأفكر هنا بشكل خاص بالأنثروبولوجيا، وعلم السلالات البشرية (الإنثولوجيا)، وعلم الآثار، وعلم الاجتماع (بمقدار أقل). إلا أنه حتى الفروع العلمية «التطبيقية» أكثر يمكن ألا تجد تمويلاً بسبب موضوع الدراسة، وخاصة تلك التي تعكف على التطرق لإشكاليات وطنية لا تتمنى المؤسسات رؤيتها تُنار وتُنشر.

٢٧ – ترتبط المشكلات المالية بالفعل بشكل وثيق بالقضايا السياسية والقانونية. ومن الصعب جداً على ناشر ما الالتزام بنشر مطبوعة أو ترجمة من دون تمويل، وهذا بالأحرى إذا تمنى نشر كتاب يحمل عنواناً مثل «العالم برأي مونسانتو» (selon monde Le Monsanto)، أو أي مطبوعة تفضح التصرفات السيئة لشركة متعدّدة الجنسيات، أو لجماعة ضغط ذات تأثير. وهكذا سيكون الناشر الذي سينطلق في المغامرة في حاجة إلى دعم مالي لاحق في حال تقديم دعوى ضده، الأمر الذي نادراً ما يحصل.

٢٨ – يشكّل القراء المحتملون نمطاً آخر من العقبات. فمن المؤكد أن من الصعب العمل

على ترجمة البحوث الحالية، نظراً لطابعها الدقيق جداً بشكل خاص. فالجمهور الذي تتوجّه إليه ضيق للغاية، لأن الأمر يتعلق بشكل رئيس بباحثين في العلوم الإنسانية، متورطين عموماً في شبكات دولية. فهم يشكلون المصدر لطلب نشر هذا النمط من المؤلفات، ومن ثم لترجمتها، وهم أيضاً الذين يشكلون المصدر لانتقال النصوص والأفكار. لكن الأمر يتعلق بدائرة محدودة على الأقل من وجهة نظر عديدة.

٢٩ - فضلاً عن ذلك، فإن بين الاعتراضات الأكثر صدوراً، من الشائع الاستماع إلى أشخاص يتساءلون عن الفائدة من ترجمة مؤلفات علمية دقيقة الموضوع، نظراً لأن الأشخاص الوحيديين القابلين لأن يهتموا بها قادرون عموماً على قراءتها باللغة الأصلية للعمل. إلا أن هذه الحالة لا نجدها دائماً، وهذه الطريقة في التفكير لا تشجع على بث الأعمال، وتستبعد على الفور الأقل حظوة من بين القراء. ويعني هذا المفهوم اتخاذ القرار بطريقة تعسفية عمّن هو قادر على قراءة أي عمل، أو راغب بذلك.

٣٠ - وعلاوة على هذه العقبات المختلفة، نجد أنفسنا أيضاً أمام مشكلة لغوية راسخة بشكل متين. فاللغة الإنجليزية تتصدّر بالفعل في ميدان البحث، لا سيما في ما يتعلق بمواد المجالات المتخصصة، وخصوصاً في البلدان التي تعدّ لغتها لغة أقلية، فهذه البلدان لا يمكنها تجنب الإنجليزية (أو عرضياً الفرنسية) من أجل التعريف بنفسها على المسرح العلمي. ويقود هذا الأمر إلى التقليل من قيمة الترجمة، التي تُعدّ حينذاك غير ضرورية.

٣١ - فضلاً عن ذلك، فإن اللغة الإنجليزية نفسها أضعفها العدد من المنشورات التي أنجزها باحثون ليست الإنجليزية لغتهم الأم. فهذه المؤلفات والمقالات تعاني من مستوى رديء في تحريرها، الأمر الذي يجعل من الصعب تقويم نوعية مضمونها.

٣٢ - ويبقى مع ذلك أن هيمنة اللغة الإنجليزية تقدم مزايا مؤكّدة، بمعنى أنها تسمح ببثٍ أوسع بكثير، وباستناد أفضل للمؤلفات. إن ملخصات الكتب تُحررّ عموماً بالإنجليزية، الأمر الذي يسمح للباحثين بأن يجدوا سريعاً العناصر المرجعية التي يحتاجونها. فضلاً عن ذلك، فإن المجالات المتخصصة في العلوم الاجتماعية والمنشورة بلغات أخرى غير الإنجليزية تلاقى قليلاً من النجاح على الصعيد الدولي؛ فهي معروفة ويُرجع إليها بقدر أقل في العالم الأكاديمي.

٣٣ - يصطدم انتقال الأفكار في العلوم الاجتماعية على الصعيد الدولي أيضاً بمشكلة التقطيع. فهو يتجه نحو التحول إلى جدل عام شديد التمرکز والانكفاء على سياقه الوطني. وهذا الأمر أقل بشكل واضح في حالة العلوم المسماة «بالعلوم الصلبة»، التي تعالج إشكاليات تتجاوز حدود الأمم، وتلامس المبادئ الكلية (كالرياضيات، والفيزياء...) وليست هذه الحالة في العلوم الإنسانية، التي تُعدّ الإشكاليات المثارة فيها إشكاليات محلية بشكل عام. إن هذا الانطباع لدى جمهور محدود العدد، وقليل الاهتمام بما يجري خارج حدوده، لا يشجع مسار الترجمة.

٣٤ - وبهذا المعنى، يُلاحظ أيضاً وجود تباينات في المعالجة المحجوزة للفروع العلمية المختلفة. ففي فرنسا، على سبيل المثال، يتم نشر وترجمة التاريخ والفلسفة بشكل أسهل، لأنهما صنفاً تقليدياً ضمن الأدبيات العامة. ومن الممكن، بالفعل، العثور على هذا النموذج من المؤلفات في رفوف عرض المحلات التي يتردد عليها الجمهور الكبير. إن الأمر يتعلق، من جهة أخرى، بخصوصية وطنية: ففي فرنسا يمكن للعلوم الإنسانية أن تُنشرها دور نشر تسمّى بدور النشر «العامة»، في حين أن هذه العلوم تكون محصورة في دور النشر الجامعية في العديد من البلدان الأخرى.

٣٥ - وبشكل عام، فإن نشر فرع علمي (ومن ثم ترجمته) يتعلق بأهميته على الصعيد الوطني، وهو الأمر الذي يبرزه حجم المنشورات السنوية، ودرجة انتشاره على الصعيد الدولي، والقاعدة المميزة التي يستند إليها. وعلى سبيل المثال، فإن التاريخ والفلسفة يتميزان بتراث أدبي أكثر قديماً، ويدعوان إذاً الكتاب بقدر أكبر من فروع علمية أخرى كالاقتصاد، أو علم النفس، اللذين يظهران عادة في مقالات، وخصوصاً في اللغة الإنجليزية. أما علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فلهما وضع متوسط، يتغير تبعاً «للتقاليد» الوطنية.

ثالثاً - الصعوبات الخاصة بترجمة العلوم الاجتماعية

٣٦ - تتطلب ترجمة المؤلفات في العلوم الاجتماعية إذاً ثلاثة مستويات من الاختصاصات:

- اختصاصات لغوية: تحكّم كامل باللغة المستهدفة ومعرفة كافية باللغة الأصل وذلك لإدراك كل الأفكار الدقيقة؛

- تخصص في ميدان البحث الخاص (الفلسفة، الأنثروبولوجيا، التاريخ ...) الذي ينبغي على المترجم أن يغوص فيه كلياً.

- اختصاصات أدبية، لا بدّ منها من أجل إعادة صياغة المؤلف في نصّ فني، واضح ومهيأ للجمهور المحلي.

٣٧ - إن الأمر لا يتعلق بترجمة لغة فقط: فالمترجم في العلوم الاجتماعية يُقاد بالفعل إلى إعادة نقل مفاهيم. ولهذا، فإن عليه أن يكون لنفسه مجموعة مراجع متينة لكي يتغلب على الصعوبات الملازمة ليس فقط للغة الأصل، وإنما لخطاب المؤلف أيضاً. ونتيجة لهذا الواقع يرى كثير من الباحثين أن المترجم المثالي ينبغي أن يكون متخصصاً في الميدان و/أو في المؤلف. ومن الضروري له معرفة كيف يحصل على الوثائق، ويحقق، ويسأل، ويتشاور مع زملائه. ولهذا تُعدّ عملية البحث في أوجها عملية عصبية، كما هو حال كل عمل ترجمي.

٣٨ - علاوة على ذلك، وبما أن الترجمة لا تكمن فقط في نقل مفاهيم من لغة إلى أخرى، فإن من المناسب أن يكون المترجم قادراً على إعادة وضع العمل في حقل دلالي،

ولغوي، وثقافي مختلف. ومن الضروري بشكل مطلق أن يأخذ بالحسبان السياق المستقبلي له، الأمر الذي يتضمن التحكم ليس فقط باللغة، وإنما بالثقافة المُستهدفة أيضاً.

٣٩ - إن علوماً «رخوة» كالعلوم الإنسانية تتطلب في أغلب الأحيان ابتكار عبارات ومفاهيم؛ وعلى المترجم أن يكون قادراً على المشاركة في فعل الخلق هذا. وعلاوة على ذلك فإن المؤلفات في العلوم الاجتماعية تُكتب غالباً بأسلوب معقد، ومقاوم للقراءة، حتى بالنسبة للمتكلمين بلغتهم الأم. وهكذا ينبغي على المترجم أن يمتلك النص، ويُعدّ منه تفسيره الخاص له من دون أن يخون النظريات والأفكار المنقولة عبره. وعليه غالباً توضيح المفاهيم، وتبرير اختياراته لترجمة ما يمكن تسميته بالعبارات «غير القابلة للترجمة»، وذلك في إطار المقدمة، على سبيل المثال. وحينذاك يكون المترجم تماماً فاعلاً للجدل الفكري.

٤٠ - وكما هو الحال في الأعمال الخيالية، من المستحيل عملياً تجنّب ما هو «فوق الترجمة» (traduction-sur La)، أو «تحت الترجمة» (traduction-sous La). فالمترجم يعيد بالفعل نقل قراءته الخاصة للعمل الأصلي. وليست هناك بالتأكيد، كما هو الحال في كل ترجمة، أي وسيلة لخلق ردّ على العمل الأصل. وفي مقال يعود تاريخه إلى عام ١٩٣٧، بعنوان (traduction la de Esplendor y Miseria) ألح الفيلسوف وعالم الاجتماع أورتيغا أي غراسيت (Grasset y Ortega) على واقع أن الترجمة: ... ليست عبارة عن دورة شعوذة يقوم في أثنائها عملٌ مكتوبٌ بلغة ما بالظهور ثانيةً بشكل مفاجئ بلغة أخرى، ... إن الترجمة ليست نسخة ثانية مكررة عن النص الأصلي... إنني سأذهب إلى حدّ القول بأنها لا تنتمي إلى النوع الأدبي نفسه الذي ينتمي إليه النص المترجم. ... إن الترجمة نوع قائم بذاته، مختلف عن الأنواع الأخرى، وله قواعده المعيارية الخاصة، وغاياته الخاصة. إن الترجمة ليست العمل موضوع التساؤل، وإنما هي طريق للدخول إلى هذا العمل.

٤١ - إن الأهمية العصبية لهذه «الطريق للدخول» هي التي توجد في الوقت الراهن في مركز الجدل.

٤٢ - لقد سمحت حلقات البحث المختلفة، والطاولات المستديرة، والمؤتمرات والندوات الهادفة للعمل على تطوير الجدل حول الترجمة في العلوم الاجتماعية بالتعرف على بعض مسارات التفكير، التي أوضحتها بشكل خاص الأسئلة التالية:

- ما هي الهوية الثقافية للمؤلف؟
- ما هي قيمة نص أصلي، أو فكرة أصلية بعد اجتيازها طرق الترجمة؟
- أي رقابة أخذها المترجم حول سير العمل وعلى كيفية استقبال النظريات الفلسفية والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها في الخارج؟
- أي رقابة يمسك بها المترجم على كيفية استقبال العمل خارج السياقات المحلية،

واللغات الأصلية، وفيما هو أبعد من الماضي الثقافي الذي شكَّله؟

٤٣ – هذه الأسئلة تتناول الإشكاليات الكبرى المرتبطة بالترجمة بشكل عام، لكنها يمكن أن تكون خاصة أكثر بالميادين غير التقنية، كالأدب والأعمال في العلوم الاجتماعية. فهنا يجري الهجوم على مفاهيم إعادة الإنتاج، وتفسير نص من نص آخر، وعلى تغيير السياق الثقافي، الذي يتجاوز طبعاً القيمة اللغوية البحتة للنص.

خلاصة وآفاق

٤٤ – إن حلَّ أغلبية المشكلات قد يكون، برأي العديد من الأشخاص المتورطين بهذا الجدل، في بحثٍ يجري على مستوى المؤسسات. فالعلوم الاجتماعية مُمَثَّلة بأقل مما تستحق في المستويات السياسية والمؤسسية، على الرغم من أن أعداد الطلاب والباحثين فيها أكثر من أمثالهم في الميادين العلمية الأخرى. والبحوث المُنجزة فيها لا يفتن لها أحد غالباً، وتشكل موضوعاً لقليلٍ من الدعم، المالي خاصة. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى المبادرات المختلفة التي قام بها المركز الوطني للكتاب في هذا الاتجاه، ولا سيما في مجال المساعدة على الترجمة من الفرنسية إلى لغة أخرى.

٤٥ – إن الأفق الأول الذي يرتسم حينئذ يكمن في تنمية المبادرات الجماعية والعبارة للقوميات، وذلك من أجل خلق نوعٍ من جماعة ضاغطة، والمطالبة بدعم مؤسسات أوروبية في هذه الحالة.

٤٦ – وكما أشرت إلى ذلك سابقاً، فإن المعارف هي مُقَطَّعة بشكل خاص في أوروبا. وقد يكون من الجيد التطلع إلى مركزة المعطيات وتوحيد المرجعيات على المستوى الأوروبي بغية تسهيل عمل البحث البيبليوغرافي للباحثين في العالم بأسره (إن استثمار الشبكة العنكبوتية أمر لا يمكن تجنبه، فما هو وراء المعطيات أصبح أمراً لا بد منه أكثر فأكثر من أجل نشر النصوص).

٤٧ – إن المِهَن والفروع العلمية أصبحت مفصولة بحواجز على حدٍ سواء. وقد سبق لبربارة كاسان (Cassin Barbara))، الباحثة في المركز القومي للبحث العلمي، أن اقترحت في عام ٢٠٠٨، إحداث مرصد أوروبي للترجمة. وكان المقصود من ذلك إنشاء مجموعات للباحثين والمترجمين والناشرين والعاملين في حقل الأدب... بهدف تحقيق كسرٍ للحواجز بين المحترفين والأمم.

٤٨ – وقد يكون أيضاً من النباهة التعاون مع المبادرات التي أُطلِقت سابقاً، الهادفة إلى تكثيف المبادلات الفكرية في أوروبا، والداعمة للترجمة.

٤٩ – إن الترجمة هي في النهاية لغة أوروبا، لأنها الضمانة للتعددية الفكرية. والجدل حول هيمنة اللغة الإنجليزية يجب تجاوزه. ويمكن/ ويجب (?) أن تبقى لغة التواصل المميزة، لكن البحث يجب أن يُنجز ويُنشر بلغة الباحث. إن تنوع اللغات يؤمّن الحفاظ على

تنوّع التقاليد الفكرية، وكذلك على الطرق المختلفة للتفكير والتعبير.

٥٠ – إن عمل المترجم يجب أن يُقَيِّم من جديد، ويجب النظر إلى الترجمة بأنّها نشاط علمي كامل. كما يجب أن تدرج في البرامج الأوروبية للبحث، وأن تستفيد من دعم مالي، بشكل خاص، لكي يُكافأ المترجمون بأجور ذات قيمة عادلة، بغية الحصول على مؤلّفات جيدة النوعية، حتى بعد اجتيازها عملية الترجمة. فالواقع أن أجور المترجمين في ميدان النشر ما زالت ضعيفة غالباً، وهذا من دون الإشارة إلى المشاريع المترجمة كيفما اتفق.

٥١ – إن نشر مؤلّفات ثنائية اللغة، أمر موجود في الأدب، لكنه غير موجود في الأعمال « غير السردية الخيالية »، على الرغم من فائدته الإدراكية المؤكّدة. وهذا الأمر قد يشكّل، برأبي، استراتيجية أخرى يمكن النظر فيها. فهكذا يمكن للقراء المزودين باختصاصات لغوية في اللغة الأصل الاستفادة من قدرة فورية للاطلاع على النص الأصلي، الأمر الذي قد يكون من نتائجه تجنب كل إغراء بإسناد الترجمات إلى أشخاص تنقصهم المؤهلات المطلوبة. وأخيراً، فإنّ القراء غير المتخصصين باللغات قد يستفيدون من قراءة نص بلغتهم الأم، كون المؤلّف ثنائي اللغة يخفي تحكّمهم غير الكافي باللغة الأصل، من جهة، ويعرض إمكان تحسين معارفهم، من جهة أخرى. ■

المصدر:

-Alice Berrichi « La traduction en sciences sociales » « Traduire », ٢٠١٢، Numéros ، ٢٢٧ p.٢٨ -١٦ .

Référence électronique

-Alice Berrichi « La traduction en sciences sociales » « Traduire] En ligne ، ٢٠١٢ | ٢٢٧ ، [mis en ligne le ٠١ décembre ، ٢٠١٤ consulté le ٢٩ juillet .٢٠١٧ URL : <http://traduire.revues.org> ؛ ٤٦٧/